نجران
جغرافياً وبشرياً
(ق١-ق٤هـ/ق٧-ق١٠هـ (*)

أ.د. غيثان بن علي بن جريس

(*) منشورة في كتاب : نجران دراسة : تاريخية حضارية (ق١-ق٤هـ/ق٧-ق١٠م) ، لغيثان بن جريس (الطبعة الثانية)، الرياض : مطابع الحميضي ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)،حـ١ ص ص ٢٣ - ٥٠ .

الفصل الأول

نجـــران
جغرافياً وبشرياً

أولا : جغرافية نجران وأصل تسميتها :

١ - جغرافيتها :

ينقسم جنوب شبه الجزيرة العربية من الناحية الجغرافية الى قسمين :

القسم الأول : ويشمل الأجزاء المطلة على ساحل البحر الأحمر وتسمى غور، واصطلح على تسميتها "تهامة" ، ومن مدنها عدن ، وزبيد ، ومعقر ، وكدرة، ومور، وعطنة ، والشرجة ، ودويمة ، والحمضة ، وغلافق ، والعشيرة ، والساعد، والمهجم، وعثر ، وبيش ، وحلي ، والسرين [١] .

القسم الثاني : فيضمُّ الأجزاء الجبلية ، واصطلح على تسميتها بـ " السروات " أو " الجبال " وأحياناً " نجد " فكل ما ارتفع عن الأرض يسمى نجداً [٢] ، ومن أشهر مدن هذا الجزء من الجنوب تجاه الشمال : صنعاء ، وصعدة [٣] ، ونجران ، وسراة عبيدة ، وجرش [٤] ، والجهوة ببلاد الحجر ، ومدن وسروات أخرى عديدة تمتد شمالاً حتى حدود مدينة الطائف [٥] . ويمتاز هذا الجزء الجبلي بتنوع مناخه ، وكثافة غطائه النباتي،

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن هذه المدن ، انظر الهمداني ، صفة ، ص ٧٠- ٧٧ ، ٢٥٨ ، المقدسي ، أحسن ، ص ٦٩-٧٠ .

(٢) يقول إبن منظور : " النجد من الأرض ... ماغلظ منها وأشرف وارتفع ..." ويذكر ايضاً أن " النجد " هو ما ارتفع عن تهامة ، انظر لسان العرب ، جـ ١٤، ص ٤٥-٤٩ .

(٣) انظر ، الهمداني ، صفة ، ص ٧٧ وما بعدها ، المقدسي ، أحسن ، ص ٧٠، الوهيبي ، ص ٥٣ وما بعدها .

(٤) مخلاف جرش قديماً يشمل جزء كبيراً من منطقة عسير الحالية ، وخاصة مدينتا أبها وخميس مشيط وما حولهما . انظر ، إبن جريس . دراسات ، ج ١ ، ص ٩٣-١٢٦ ، إبن جريس ، " مخلاف " ص ٦٣-٧٨ .

(٥) ولمزيد من التوضيحات عن هذه المدن والسروات انظر ، الهمداني ، صفة ، ص ٦٠، ٢٦٠-٢٦٣ ، إبن جريس " بلاد السراة " ص ٧٦-١١١ ، للمؤلف نفسه . دراسات، ج ١ ، ص ١٢٧-١٦٤ المسري ، ص ٤٢ وما بعدها ، ايضاً انظر ، كحالة ، ص ٨٥ ، الأكوع ، اليمن ص ٧٦ ، ١٤٩ ، ١٥٠ .

فدرجة الحرارة في هذه النواحي منخفضة لارتفاعها عن سطح البحـر، وبـلاد نجـران حسب هذا التحديد تقع ضمن القسم الجبلي أو النجدي وموقعها بين مـدينتي صـنعاء وصعدة وأجزاء من بلاد اليمن من الناحية الجنوبية وبلاد نجد (منطقة الريـاض حاليـاً) وأجزاء من مخلاف جرش (منطقة عسير الحالية)من الشمال ، والمنطقة الشرقية وصحارى الربع الخالي من الشرق ، ومنطقة عسير وأجزاء من بلاد اليمن من الغرب [١] .

وقد تحدث بعض الجغرافيين والمؤرخين والرحالة المسلمين الأوائل عن نجران فأشادوا بثرائها الاقتصادي ، ونشاطها الاجتماعي ، وكذلك موقعها الاستراتيجي لكونها تقع على الطريق التجاري الذي يربطها باليمن ، والحجاز ، واليمامة ، والبحرين [٢].كما أن عدداً مـن مدوني التراث الإسلامي أعطوا تفصيلات عن طبيعة نجران الجغرافية ، وأوديتها ، وموقعهـا في بلاد السروات الواقعة بين اليمن والحجاز ، فالهمداني من أهل القرن الرابع الهجري (العاشـر الميلادي) ذكر طول نجران من المشرق فقال : ((**وطولها من الشرق مائة وسبع عشرة درجة وخمسة أسداس درجة وتشرق عليها الشمس قبل مطلعها على صعدة نحـو مـن اثـنين وعشرين جزءاً ونصف من الساعة ، وعرضها ست عشرة درجة**)) [٣]، ويستطرد ذاكراً ما يضمه مخلاف نجران من أودية تميز معظمها بكثرة موارده المائية مما ساعد على ثرائها الزراعـي ووفرة غطائها النباتي مشيراً إلى أن مخلاف نجران يضم عدة أودية منها واد فحل هو : (وادي

---

(١) تقع منطقة نجران في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية حالياً ، أي في الأطراف الشرقية لمنطقة الـدرع العربي التي تمتد عبر المنطقة الواسعة حتى أقصى جنوب الجزيرة ، وذلك على خط الطول (٤٣،٥٢) شرقاً وخـط العرض (١٧،٢٠) شمالاً تقريباً. وتبلغ مساحتها حوالي (٣٦،٥٠٠) كم٢، تغطي الصحراء جزء كبير من هـذه المساحة ، وهو الجزء الذي تمثله محافظة شرورة التابعة إدارياً لمنطقة نجران . ويترأوح منسوب المرتفعات في منطقـة نجران بين (٩٠٠ و ١٨٠٠ م) عن سطح البحر ، ويحيط بمنطقة نجران جبال من الشمال ومن الجنوب بارتفاعات شاهقة تقل كلما اتجهنا شرقاً إلى أن تغور في رمال الربع الخالي . لمزيد من التفصيلات انظـر ، الأطلـس التـاريخي للمملكة العربية السعودية (منشورات دارة الملك عبد العزيز ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩م) ص ٢١٦ وما بعدها ، آل مريح ، ص ١٥ ، السعيد ، ص ١٠ ، الغباري ، ص ٥ ، آل زمانان ، ص ٤ ، المسري ، ص ٤٢ .

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ٣٣٨ ، ٣٤٢ ، انظر الفصل الخامس من هذا الكتاب .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ٥٣ ، العقيلي ، ص ٤٧ .

نجران) ، وفروعه من ثلاثة أماكن ، الفرع الأول : يخرج من بلد بن حيف من وادعة [١] ، والثاني : من بلد بن جماعة من خولان ، والثالث : من بلد شاكر [٢]، وهناك أيضاً : واديا العرض ودماج، وهما يصبان بدورهما في وادي نجران [٣]، فيبدو منظر المياه بوادي نجران جميلاً لا سيما في الربيع حيث وفرة الأمطار ، فكان من المنتزهات التي يرتادها أهل نجران [٤].

ووادي نجران يخترق البلاد من الغرب إلى الشرق ، وتتخلله بعض الانحناءات والتعاريخ [٥] ، ويمتد في أرض منبسطة ، وفي وسطها يجري الوادي ، بينما القرى تتناثر على جانبي ضفتي الوادي ، وقد بلغ عددها ما يقارب (٣٥) قرية أو يزيد قليلاً ، ومعظمها آهلة بالسكان عامرة البناء ، وكان عدد القرى في الجانب الأيسر من الوادي يفوق الجانب الأيمن وجدير بالذكر أن الحفائر والتنقيبات الأثرية قد أسفرت عن كشف عديد من الأطلال الأثرية في هذا الوادي وهي عبارة عن عدد كبير من القرى بعضها لا يزال مطموراً تحت الرمال ، ومن جملة هذه الأطلال قرية " الأخدود " ، التي ورد ذكرها في القرآن الكريم[٦]. وهي من آثار قرى نجران القديمة ،

---

(١) ومن يزور نجران حالياً يلاحظ أن وادي نجران يأخذ أعلى مساقط مياهه من السراة الواقعة شرق جازان ، حيث يتقاسم الوأديان (نجران و جازان) الماء ، ويأخذ مياه ما بين صعدة في الجنوب إلى قمة جبل الريث في الشمال وهي سراة خولان : سحار وبني مالك ، وبعض وادعة ، وله روافد عظيمة من أهمها : وادي العرض ، ووأدي الفرع ويسير (تقريباً) (٣٠٠) كيلاً من رأس السراة إلى السد ، وعند سد نجران تجتمع فيه ثلاثة أودية عظام هي : ١- وادي مروان . ٢- وادي العرض ٣- وادي كرا . البلادي ، ص ١٩١-١٩٢ ، أنظر الهمداني ، صفة ، ص ٤٥ ، ١٦٣ .

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ١٦٣ ، المسري ، ص ٤٥ .

(٣) الأكوع ، اليمن ، ص ١٥٠ ، كحالة ، ص ٨٥ .

(٤) المراجع نفسها .

(٥) الأكوع ، اليمن ، ص ١٥٠ ، المسري ، ص ٤٤ .

(٦) الأكوع ، اليمن ، ص ١٥٠ ، والأخدود الشق العظيم في الأرض ، وقد وردت قصة أصحاب الأخدود في القرآن الكريم، وتقول القصة أن نفراً من أهل نجران آمنوا بدين عيسى عليه السلام ، وكان ملكهم يوسف ابن ذي نواس بن شرحبيل بن تبع الحميري ، فأمرهم بالعودة عن عبادتهم ولكنهم رفضوا وتمسكوا بدينهم الجديد ، فعمل لهم الأخاديد وأضرم فيها النيران ورماهم فيها . وذكروا أن أصحاب الأخدود كانوا في ثلاثة مواضع ، واحد بنجران والثاني بالشام والآخر بفارس ولم يترل القرآن الا بأخدود نجران فقط . وقد نسبوا بعض الكرامات لأصحاب أخدود نجران ، من ذلك أنهم رووا حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : ((أن القرى المحفوظة أربع : مكة ، والمدينة ، وإيلياء ، ونجران ، وما من ليلة إلا ويترل على //

التي لم يبق منها إلا مسجدها الذي يرجع إلى عصر الخلافة الراشدة حيث أشارت بعض المصادر إلى أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قد أصدر أمراً بإنشائه [١] . وقد عثر المنقبون بقرية الأخدود على آثار ذات قيمة تاريخية عالية .

ومن القرى الأثرية التي يضمها هذا الوادي أيضاً قرية " رعاش " وكانت مقراً للنصارى [٢]، وقرية " بولس " نسبة إلى المبشر النصراني بولس [٣] ، ومن هذه القرى أيضاً "شوكان " وغيرها [٤] .

وقد وضع الجغرافيون الأوائل تقديراً لطول وادي نجران الذي نحن بصدد الحديث عنه فذكروا أنه يبدأ من قرية (الموفجة) وينتهي عند المذنب ، المعروفة ببلاد ابن منجم ، وأن هذه المسافة يقطعها المسافر بأكثر من يوم للمسافر المستعجل ، وهو تقدير غير دقيق [٥] ، ويمتد بعد ذلك مسافة يوم آخر في مواضع خالية من المياه، إلاّ في موضعين أو ثلاثة فيها آبار يستقي منها الرعاة إلى أن ينتهي مجرى الوادي عند عروق رملية تسمى (عروق المهرة) بقرب النقع ، المكان الذي تجتمع فيه فضلات السيول بين الرمال الكثيفة [٦]، وقد قدرت هذه المسافة أنها تساوي المسافة الأولى ، ويرتفع وادي نجران عن سطح البحر بحوالي (٨٠٠٠) قدم [٧] .

// نجران سبعون ألف ملك ، يسلمون على أصحاب الأخدود ثم لا يعودون إليها أبداً)) انظر الطبري ، جـ٢ ، ص٨٨ ، إبن الأثير ، الكامل ، جـ ١ ص ٢٥٠ ياقوت ، جـ٥ ص ٢٦٨ ، القزويني ص ٦٥ ، ١٢٦ .

(١) انظر البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ٢ ، ص ١٢١ ، المسري ص ٤٥ .

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ٣١٨ ، ٣٦٠ ، البكري معجم ، مج ١ ، جـ ٢ ، ٦٦٠ ، حميد الله ، ص ١٩٢

(٣) الأكوع ، اليمن ، ص ١٤٠ ، المسري ، ص ٤٥ .

(٤) الهمداني ، صفة ١٦٦ ، ١٨٣ ، ١٩٨ ، ٣١٨ ، الأكوع ، اليمن ، ص ١٤٠ .

(٥) المسري ، ص ٤٥ ، حمزة ، ص ١٨٢ .

(٦) الأكوع ، اليمن ، ص ١٤٠ وما بعدها ، العقيلي ص ٤٦–٥٠ ، المسري ، ٤٤–٤٥ ، حمزة ، ص ١٨٢ .

(٧) المراجع نفسها للمزيد انظر ، الشريف ، جـ ٢ ، ص ٤٠٠ –٤٠٦ .

ويتحدث أحد المؤرخين المحدثين عن بلاد نجران فيقول ((**تقع نجران في منبسط من الأرض السهلة المرتفعة التي يخترقها في وسطها مجرى الوادي المعروف بوادي نجران من أعلاه إلى أسفله حيث يغور في رمال الربع الخالي**)) [١] . ويحيط بنجران من الجنوب والشمال سلسلتان من الجبال والهضاب تفصل السلسلة الجنوبية بينه وبين بلاد الفرع ووائلة، وهي متفرقة من جبال السراة ويقل ارتفاعها كلما اتجهت إلى الشرق إلى أن تغور في رمال الربع الخالي، وأهم جبال هذه السلسلة جبال همدان وهو مرتفع عن سائر أقسام السلسلة التي تسمى باسم جبال نجران. وأما السلسلة الشمالية فهي أقل ارتفاعاً من سابقتها وفي أعلاها مرتفعات منبسطة تصلح مرعى الماشية، ولذلك سميت " الصحن "[٢]، وهذه السلسلة تفصل ما بين نجران وحبونة [٣]، ويتصل بنجران من الشمال الغربي بأعلى حبونة المسمى (القرن) أو (الخانق) [٤] ، وأول القرى علواً وادي نجران بعد تشكيلة من مضيق مروان وعقبة رفاده ، قرية تعرف بالموفجة أو قرية ابن الزين [٥] ، وإذا كان وادي نجران يُعَدُّ شرياناً حيوياً ، فإن وادي حبونة يُعد ثاني الأودية الرئيسة التي تغذي بلاد نجران وما حولها بالمياه . وهذا الوادي يأخذ أعلا مساقط مياهه من السراة الواقعة إلى الشمال الغربي من بلدة نجران ، وإلى الغرب من ظهران الجنوب ، ومياه وادي حبونة تتجه شرقاً حتى تلتقي مع مصب مياه وادي نجران في صحراء الربع الخالي [٦].

---

(١) حمزة ، ص ١٨١ ، انظر أيضاً العقيلي ، ص ، ٤٨ .

(٢) حمزة ، ص ١٨١ .

(٣) حبونة أو (حبونا): واسمها القديم حَبَوْنَ ، هكذا ذكرها الهمداني بفتحتين، فقال: " ليام وطن بنجران نصف مامع همدان منها ، ثم بلدهم يطرد عليها ناحية الحجاز إلى حدود زُبيد ونهد من ناحية حارة وما يليها ، وهي حارة ، وملاح ، وسمنان فإلى ما يصالي خليف دكم من أعالي حبونن، وبخليف دكم قتل عبدالله بن الصمة ، أخو دريد ، والحظيرة ، وبدر ، وصيحان ، وقابل نجران ، وهدادة ، والحظيرة بأعلى حبونن " وفي مكان آخر يقول " وأما محجتها (حضرموت) السفلى فمن العبر في شيئز صيهد إلى نجران شبه من ثمانية أيام ، ثم من نجران حبونن ، وهو واد يغيب من بلد يام من ناحية سمنان ، وهو كثير الأرطى ، وبه بئر زياد الحارثي ..." ، الهمداني ، صفة ، ص ١٦٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٣٤٢ ، البلادي ، ص ١٩٩ .

(٤) الهمداني ، صفة ، ١٦٣ ، ٢٤٩ ، ٤١٦ ، العقيلي ، ص ٤٩ .

(٥) الهمداني ، صفة ، ٣١٨ حاشية (٣) ، حمزة ، ص ، ١٨٢ .

(٦) الهمداني ، ص ٢٠٠– ٢٠١، الشريف، جـ ٢، ص ٤٠٧ وما بعدها، philby , pp . 338 ff .

وأما عن أهمية مخلاف نجران أحد المخاليف المهمة في شبه الجزيرة العربية ، فقد أفاض في ذلك عدد من الرحالة الجغرافيين المسلمين الأوائل عند حديثهم عن جغرافية شبه الجزيرة العربية فورد ذكر مخلاف نجران باعتباره واحداً من النواحي المهمة في جنوب شبه الجزيرة العربية ، ومنهم من عدَّه واحداً من مخاليف اليمن ، وآخرين أشاروا إلى أنه من مخاليف مكة المكرمة . فاليعقوبي أحصى مخاليف اليمن فوجدها أربعة وثمانين مخلافاً [١] ، وكانت نجران ضمن تلك المخاليف من ناحية مكة المكرمة . كذلك أبو الفداء ذكر أن نجران من بلاد همدان من اليمن ، ثم أشار إلى أن المسافة من مكة المكرمة إلى نجران تقدر بعشرين مرحلة ، ومن صنعاء إلى نجران بعشر مراحل ، فهي إلى صنعاء أقرب من مكة [٢] ، كما نهج كل من الهمداني وياقوت الحموي والقزويني نفس منهج اليعقوبي ، وأبي الفداء [٣] .

وهناك أراء أخرى تذكر أن نجران ليست من اليمن ، وعدَّ أصحاب هذه الأراء أنها وجرش آخر حدود الحجاز من جهة اليمن . فابن خرداذبه ، أشار إلى عنوان جانبي سماه ((**مخاليف مكة ونجد**)) وذكر منها الطائف ونجران [٤] ، كما اتفق البكري مع ابن خرداذبه ، وذكر أن نجران مدينة بالحجاز من شق اليمن [٥] ، ويورد ابن الفقيه في كتابه : **البلدان** بعض التوضيحات عن بلاد السراة ، فذكر أن السروات تنقسم إلى ثلاث سروات ما بين تهامة ونجد ، وأشار إلى أن أدناها بالطائف وأقصاها قرب صنعاء وبالتالي فلم يذكر نجران ضمن اليمن أو مكة المكرمة ، وإنما أوردها ضمن بلاد السراة الممتدة من اليمن إلى الحجاز [٦] ، أما ابن سعيد في كتابه

---

(١) اليعقوبي ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) ابو الفداء ، البلدان ، ص ٣١٧ .

(٣) انظر ، الهمداني ، صفة ، ص ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٦ ، القزويني ، ص ١٢٦

(٤) ابن خرداذبه ، ص ١٣٣ .

(٥) البكري ، مج ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٢٩٨ .

(٦) إبن الفقيه ، ص ٣١ .

((**المغرب في حلي المغرب**)) فذكر أن نجران صقع منفرد عن اليمن [١] ، أما ابن رسته ، والأدريسي فذهبا إلى ما ذهب إليه كل من ابن خرداذبه والبكري ، وذكرا مخاليف مكة من نواحي تهامة ونجد [٢] ، وأوردا نجران ضمن مخاليف مكة النجدية أو (السروية) [٣] ، والادريسي أشار إلى كلمة " مخاليف " أي أماكن ، أو نواحٍ [٤] ، وأطلق عليها أيضاً اسم حصون ، فقال : " ولمكة مخاليف هي : الحصون فمنها بنجد : الطائف ، ونجران ، وقرن المنازل ، والعقيق ، وعكاظ ، وتربة ، وبيشة ، وكتنه ، وجرش ، والسراة . ومن حصونها بتهامة : ضنكان، والسرين، وعشم، وبيش، وعك ... " [٥] .

وهذا الاختلاف في وجهات النظر بين من ذكر أن نجران ضمن مخاليف اليمن ، أو مخاليف مكة المكرمة يعود إلى عدة أسباب عدّة منها :-

١ - أن معظم الرحالة والجغرافيين الذين أشرنا إليهم في السطور السابقة عاشوا ما بين القرنين الثالث والثامن الهجري (التاسع والرابع عشر الميلادي) ، ثم إنهم لم يرتادوا بأنفسهم بلاد اليمن الواقعة جنوب مكة المكرمة ، وانما اقتصر ما دونوه في مصنفاتهم عن تلك البلاد على ما قرأوه أو سمعوه من الرواة في مصادر سابقة عليهم .سواء في الحجاز أو بعض الحواضر الإسلامية الكبرى في شرق العالم الإسلامي أو غربه ، وبالتالي فحكمهم على أن نجران تقع ضمن

---

(١) انظر العقيلي ، ص ٥٤ ، كما ذكر ذلك كل من القلقشندي ، وعمارة الحكمي اليمني نقلاً عن صاحب " الكمائم " انظر دلال ، ص ٢٦ .

(٢) والمقصود بنجد هنا : أي السروات أو الأجزاء المرتفعة عن بلاد مكة المكرمة .

(٣) إبن رسته ، ص ١٨٤ ، الأدريسي ، جـ ١ ، ص ١٤٥ .

(٤) وقد عرفت المخاليف أو الأماكن خلال العهود الإسلامية البكرة ، والوسيطة بأسماء عديدة ليس في شبه الجزيرة العربية فحسب ولكن في بعض أجزاء العالم الإسلامي ، فذكرت باسم (مخلاف) أو (كورة) أو (رستاق) وغيرها .

(٥) الأدريسي جـ ١ ، ص ١٤٥ ، للمزيد ، انظر دلال ، ص ١١- ١٦ .

مخاليف اليمن يصدر بحكم قرب نجران الجغرافي لبلاد اليمن ، أو بحكم أن بلاد نجران تأتي في الأجزاء الواقعة إلى جنوب مكة المكرمة، وعند كثير من مدوني التراث كانوا يطلقون كلمة "اليمن" على كل الأجزاء الواقعة في الجنوب من الكعبة المشرفة .

٢ - أن بعض أولئك الجغرافيين ربما تأثروا بالعامل الإداري والسياسي معاً ، ففي الوقت الذي دونوا فيه مدوناتهم كانت شبه الجزيرة العربية مضطربة إدارياً وسياسياً ، وبالتالي فهناك قوى سياسية في اليمن (صنعاء وما حولها) أو في الحجاز (مكة المكرمة وما حولها) وبالتالي حددوا موقعها ضمن الإطار الإداري لليمن أو للحجاز تبعاً للقوة المسيطرة وامتداد نفوذها إلى نجران سواء كانت هذه القوة من اليمن أو الحجاز .

٣ - في الفترة الزمنية التي يعالجها هذا الكتاب كانت جميع بلاد الحجاز واليمن وأحياناً اليمامة والبحرين تابعة إدارياً لوالي الحجاز الذي كان مقره في الغالب مكة المكرمة وأحياناًيتخذ من المدينة المنورة أو الطائف مقراً له ، ثم يرسل من قبله أمراءً أو جباة للزكاة إلى كل البلدان والأعمال الممتدة من الحجاز إلى اليمن ، وبالتالي فان نجران تتبع إدارياً وسياسياً لوالي مكة المكرمة الذي هو الآخر يستمد قوته من خليفة المسلمين سواء كان في المدينة المنورة في فترة الخلافة الراشدة أو من دمشق، ايام خلفاء بني أمية، أو من بغداد، أيام خلفاء بني العباس [1] .

---

(١) لمزيد من التفصيلات انظر العلي " ادارة " ص ٣– ٥٧ ، Husain,pp.16 ، أيضاً انظر الفصلين الثاني والثالث من هذا الكتاب .

٢ – أصل تسميتها :

إن تسمية بلاد نجران تعود إلى شقين : شق لغوي ، وآخر نسبي . فالنَّجْرُ في اللغة هو القطع فيقال :- نجر النجار ، أي قطع العود ونجره . ويقال : النَّجْرُ عمل النجار ونحته ، والنَّجْرُ أيضاً هو نحت الخشبة ، ونجارة العود ، ما انتجت منه عند النجر، والنجار صاحب النجر وحرفته النجارة [١] .

والنجران : هو الخشبة التي تدور فيها رجل الباب [٢] فيقول الشاعر :

وصَبَبْتُ الماء في النَّجْرانِ صَبّاً تَرَكْتُ البابَ ليس له صريرُ [٣]

ويذكر ياقوت الحموي أن النجران : هو خشبة يدور عليها رتاج الباب [٤] ويدلل على ذلك شعراً فذكر البيت التالي :

وصَيْتُ الباب في النَّجْرانِ حتى تَرَكْتُ البابَ ليس له صريرُ [٥]

والمقصود بالرتاج ، أي الإغلاق ، فيقول ارتج الباب أي أغلقه إغلاقاً وثيقاً ، وأنشد الشاعر قوله :

ألم تَرَني عاهدْتُ ربي وإنني لَبَيْن رِتاجٍ مُقْفَلٍ ومَقام [٦]

وفي الحديث : إن أبواب السماء تفتح ولا تُرْتَجُ ، أي تغلق ، وفي الحديث أيضاً: جعل ماله في رتاج الكعبة، أي فيها فكني عنها بالباب، لأن منه يُدخل إليها [٧].

---

(١) انظر إبن منظور ، فعل " نجر " جـ ١٤ ، ص ٥١ .
(٢) إبن منظور ، جـ ١٤ ، ص ٥١ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٦ .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) إبن منظور ، فعل " رتج " جـ ٥ ص ١٣٠ .
(٧) المصدر نفسه .

أما تسمية نجران النسبية فتعود إلى نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان لأنه كان أول من عمرها ونزلها ، وإنما صار إلى موضع نجران لأنه رأى رؤيا فهالته فخرج حتى انتهى إلى وادٍ فنزل به فسمي نجران به [١] ، وفي رواية أخرى ورد اسم نجران بن زيد بن سبأ [٢] . وهكذا نجد أن تسمية نجران سواء لغوياً أو نسبياً تكاد تكون مكملة لبعضها البعض ، فاذا قلنا إن النجران خشبة تدور (أو) يدور عليها رجل (أو) رتاج الباب ، فهذا صحيح لأن موقع نجران تُعدُّ فعلاً شبيهة بالخشبة التي تدور عليها رجل الباب ، وذلك لأهمية موقعها الذي تحتله ، وهذا الذي أكسبها ميزة مهمة جعلتها محط التقاء القوافل التجارية بين اليمن والحجاز وأطراف شبه الجزيرة العربية الأخرى ، كما أن موقعها أيضاً أكسبها قوة اقتصادية نتيجة لتنوع محاصيلها الزراعية ، ولأن سوقها التجاري يأتي ضمن الأسواق النشطة والمهمة في شبه الجزيرة ، وإذا نظرنا إلى الشق النسبي من الاسم نجده جاء أيضاً مكملاً للشق اللغوي حيث صارت المنطقة ملتقى للعديد من القبائل العربية التي نزلتها واستقرت بها منذ أن انتجعها نجران بن زيد (زيدان) بن سبأ المهاجر من اليمن ، فعرفت المنطقة باسمه لكونه ساهم باستقراره في هذا الوادي في اجتماع هذه القبائل هناك وبالتالي في نهضتها العمرانية .

---

(١) ياقوت ، حـ ٥ ص ٢٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ولمزيد من التفصيلات عن فروع قبائل اليمن قبل الإسلام بما فيهم أولاد زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب ، انظر الأصمعي ، ص ٥٦ وما بعدها .

ثانياً : التركيبة السكانية لمجتمع نجران :

تشير المصادر إلى أن التركيبة السكانية لمجتمع نجران في معظمها تقوم على العرب الخُلّص ، وكانت قبيلة مذحج هي أشهر قبائل نجران ، وإن سبقهم في الإقامة هناك قبائل جرهم الأولى [١] ، ويؤكد ذلك ما أورده ابن حبيب من أن العاقب ، والسيد ، والأسقف وغيرهم الذين وفدوا على النبي ﷺ كانوا من بني الأفعى سكان نجران الأولين من جرهم الأولى [٢] . وقد جاء في تاريخ الطبري من أنه وصل خبر وفاة الرسول ﷺ إلى نجران وأن من بها من بني الأفعى أربعون ألفاً [٣] . وتتابع كتب التراث حديثها عن سكان نجران فتشير إلى أنه قد انتجعها بنو الحارث وهم من مذحج بالإضافة إلى أقوام من الأزد وكانت السيادة لبني عبد المدان من مذحج في فترة من الفترات ، وإن كانت هناك إشارات تذكر أن الأزد كانت لهم السيطرة لبعض الوقت ، ثم سرعان ما اندمجوا في بني الحارث [٤] .

وليس هناك من شك أن تكون السيادة في قوم وهناك الأكثرية التي تُحكم ، فبنوا الحارث تستمد قوتها وتفرض سيادتها للتفوق الأدبي الذي يتسم به بنو عبد المدان ، أولاً من عصبيتها المذحجية القبيلة القوية المعروفة والتي تنحدر من زيد بن كهلان [٥] . أما الأكثرية

---

(١) إبن حبيب ، المحبر ، ص ٣٢ ، جواد علي ، جـ ٥ ، ص ٦٣٩ ، دلال ، ص ٢٥ ، وقد وردت أسماء العديد من قبائل العرب البائدة التي سكنت شبه الجزيرة العربية ، وبعضهم ربما سكن بلاد نجران ، ومن تلك الأقوام : عاد ، والأنباط ، وحضور ، وثمود ، والعماليق ، وثابر ، ولحيان ، وطسم ، وعبد ضخم ، وجديس ، وقيتبان ، انظر العقيلي ، ص ٣٧ .

(٢) إبن حبيب ، المحبر ، ص ٢٣٢ للمزيد انظر إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ وما بعدها ، الأصمعي ، ص ٥٧ وما بعدها ، إبن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢، ص ٣٠٦ .

(٣) انظر العقيلي ، ص ٤١ (نقلاً عن الطبري) .

(٤) انظر إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ٢٦٨-٢٦٩ ، المسعودي ، مروج ، مج١ ، جـ ٢ ، ص ١٧٢ – ١٧٣ ، الهمداني ، صفة ، ص ١٨١ وما بعدها ، إبن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٠٧ .

(٥) لمزيد من التفصيلات انظر ، إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ٢٦٨ وما بعدها ، إبن حزم ، ص ٤١٦ وما بعدها ، إبن خلدون ، تاريخ جـ ٢ ص ، ٣٠٦-٣٠٧ .

فهم جرهم التي ضعفت عصبيتها ، وإن احتفظت بجوهر عنصرها العربي الجرهمي [١] . وتُعَدُّ قبيلة مذحج [٢] من القبائل العربية الأولى التي سكنت نجران و لم نعثر فيما كتبه المؤرخون وأهل النسب على ما يحدد الفترة الزمنية التي استوطنت فيها هذه القبيلة مدينة نجران ، ويمكننا القول إن وجودها بنجران يعود إلى ما قبل حادث سيل العرم الذي أصاب مأرب وتصدع فيه سدها [٣] . وينهض دليل على ذلك ما ورد في بعض المصادر من أن القبائل اليمانية التي هاجرت في حدود سنة ١١٨م [٤] ، إثر حادث السيل المذكور قد مرت في طريق هجرتها بنجران ، وكانت تقطنها وتسيطر عليها مذحج ، ولمذحج بطون كثيرة ، منها بنو الحارث بن كعب وكانت لهم السيادة بنجران ، والقبائل اليمانية ، التي هاجرت جميعها تنسب إلى جدها الأعلى قحطان [٥] ، فاتجهت نحو الشمال الشرقي من مدينة مأرب ، وعند خروجهم كانوا يريدون أرضاً تجمعهم لأنهم تفرقوا [٦] ، فقسم ذهب إلى السواحل الغربية للخليج العربي ، واستقر أكثرهم في عمان ، أما القسم الأكبر فقد ذهب إلى تهامة اليمن ، موطن قبائل عك وأشعر ، حيث استقروا على مقربة من مستنقع غسان

---

(١) انظر إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ وما بعدها ، إبن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ص ٣٠٦

(٢) مذحج بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان . انظر إبن حزم ، ص ٤٨٥ . ومذحج أحدى القبائل الكهلانية الكبرى، ومواطنها الأصلية في المنطقة الشرقية من اليمن وفي بلاد السراة وغيرها مثل: سعد العشيرة بتهامة ، بنو عبد المدان بنجران ، الرها ، شمران ، الحكم بن سعد العشيرة ، صعب ، حرب التي نزلت (في القرن الثالث الهجري) بين مكة والمدينة ، جعفي شمال صعدة ، أنيس ، اسعد ، زُبيد ، أود ، مازن ، مراد ، عنس ، بنو الحرث بن كعب ، بنو مسلية ، لمزيد من التفصيلات انظر إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ وما بعدها . المقحفي ، ص ١٧- ١٨ ، جواد علي ، جـ ٤ ، ص ٤٥٤- ٤٤٥ .

(٣) انظر الأصمعي ، ص ٨١ و ما بعدها ، الهمداني ، صفة ، ص ٣٧٠-٣٧٤ ، إبن حزم ، ص ٣٣١ ، المقدسي ، البدء جـ٣ ، ص ١٩٥ ، جـ ٤ ، ص ١١٧-١١٨ ، إبن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٠٣ ، القلقشندي ، صبح ، جـ ١ ، ص ٢٢٨-٢٢٩ ، البغدادي ، ص ٢٨-٣١ .

(٤) الحكمي ، تاريخ اليمن ، ص ١٨١ .

(٥) إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ١٣١ ، ٣٦١ وما بعدها ، إبن حزم ، ص ٣٢٩ .

(٦) المسعودي ، مروج ، مج١ ، جـ٢، ص١٧٠ وما بعدها ، إبن خلدون ، تاريخ ، جـ٢ ص ٢٨٥ وما بعدها.

بين نهري زبيد وريمة [١] . ولعل أكبر هذه القبائل التي هاجرت من اليمن قبيلة الأزد [٢] ، بزعامة عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف وأبنائه ، وهم: وادعة، وذهل ، وعمران، وحارثة [٣] ، وقد ذهب وادعة إلى بلاد همدان واستقر بها ، وأما ذهل فقسم من أبنائه اتجه إلى نجران واستقر بها حتى إن أحدهم وهو ، إيليا أصبح أسقفاً عليها [٤] ، أما حارثة ويسميه المسعودي أبو حارثه والصواب حارثة بدون أبو ، وربما كانت " أبو " تصحيفاً من الناسخ للمسعودي [٥] ، فقد ذهب هو وعشيرته من الأزد إلى نجران واستقروا بها إلى جوار قبيلة مذحج ، وبمرور الوقت انتسبوا في مذحج ، وانصهروا فيها ، وتلاشت قبيلتهم [٦] ، ويضيف المسعودي أيضاً أن حارثة هذا هو جد الحارث بن

---

(١) الحكمي ، تاريخ ، ص ١٨١ ، المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ وما بعدها ، إبن خلدون تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٥-٢٨٦ ، وللمزيد من التفصيلات عن تفرع قبائل الأزد انظر الأصمعي ، ص٧٥ وما بعدها ، الهمداني ، صفة ، ٣٧٠ - ٣٧٤ ، المقدسي ، البدء ، جـ ٣ ، ص ١٩٥ ، الجرافي ، ص ٧٣-٧٤ ، المقحفي ، ص ١٨ وما بعدها ، الخطيب ، ص ٢٨-٣١ .

(٢) الأزد : من القبائل العربية اليمنية الكبيرة المشهورة ، وتنسب إلى أزد بن يغوث بن النبت بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سبأ بن يعرب بن يشجب بن قحطان . انظر الأشعري القرطبي ، ص ١٧٣ وما بعدها ، إبن حزم ، ص ٣٢٩ ، ٤٨٤ . المسعودي ، مروج مج ١ ، جـ ٢ ، ص ١٦١ ، المقحفي ، ص ١٩ . والأزد أربعة أقسام ، منهم : أزد شنؤه (مخلاف باليمن ينسب إلى هذا الفرع) ، ونسبتهم إلى كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد . وكانت منازلهم ببلاد السراة . وبطون الأزد كثيرة منها الأوس والخزرج ، وخزاعة ، ومازن ، وبارق ، والمع ، والحجر ، وراسب ، وغامد ، وزهران ، وعك ، ودوس ، وغسان وغيرهم . انظر المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ص ١٧٠ وما بعدها ، المقحفي ، ص ١٩ ، المسري ، ص ٤٨ .

(٣) إبن حزم ، ص ٣٢٩ وما بعدها ، وللمزيد من التفصيلات عن قبائل الأزد قبل وبعد انهدام سد مأرب انظر ، الأصمعي ، ص ٧٧ وما بعدها ، الخطيب ، ص ٢٨-٣١ .

(٤) إبن حزم ، ص ٣٣١ .

(٥) إبن حزم ، ٣٣١ ، ٣٦٧ .

(٦) المسعودي ، مروج ، مج ١ جـ ٢ ، ص ١٧٢-١٧٣ .

كعب [١] ، والتي أصبح لعشيرته السيادة في نجران وأعمالها [٢] ، حتى إن وادي نجران الكبير الذي يخترق المدينة من الشمال إلى الجنوب صار ضمن ممتلكات بنو الحارث [٣]، بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد [٤]، ويضيف ابن خلدون إلى أن بعض فخوذ الأزد نزلت نجران وشاركت المذحجيين في حكم نجران [٥]. وفي اعتقادي أن رواية المسعودي [٦]، التي تقول إن بعض الأزديين قد جاوروا المذحجيين في نجران ثم انصهروا بمرور الوقت في قبيلة مذحج، ربما تكون أقرب للصحة من رواية ابن خلدون [٧] ، يؤيدنا في ذلك استمرار السيادة في بني الحارث على نجران ، إلى أن انتقلت الرئاسة إلى أسرة جديدة تنتمي لنفس القبيلة عرفت ببني ديان أو (زيان) من سلالة يزيد الملقب بديان ، ومن أبنائه عبد المدان ، وكان أب أو جد يزيد بن عبد المدان الذي قابل رسول الله ﷺ واعتنق الإسلام في السنة العاشرة للهجرة [٨] وقد اشتهر آل عبدالمدان

---

(١) المصدر نفسه ، لمزيد من التفصيلات عن نسب الحارث بن كعب ، انظر إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ٢٦٨ وما بعدها .

(٢) المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ١٧٣ .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ٢٥٤ ، الأكوع ، اليمن ، ص ١٥٣ ، المسري ، ص ٤٨ .

(٤) ولد الحارث بن كعب ، كعب ، وربيعة ، فولد كعب بن الحارث بن كعب ، ربيعة ، ومالك ، ومن بني مالك ابن كعب بن الحارث بن كعب : بنو عبد المدان ، وأسمه عمرو بن الديان ، واسم الديان يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب ، وهم بيت مذحج وأخوال الخليفة العباسي (أبو العباس السفاح) انظر ، إبن حزم ، ص ٤١٦–٤١٧ ، إبن خلدون ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ٣٠٧ .

(٥) إبن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٠٦ .

(٦) المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ١٧٢–١٧٣ .

(٧) المصدر نفسه .

(٨) لمزيد من التفصيلات عن بني الحارث وبني الديان المذحجيين وعن قوة نفوذهم الإداري والسياسي في نجران ، انظر : إبن حزم ، ص ٤١٦–٤١٧ ، إبن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٠٦–٣٠٧ ، الحكمي ، تاريخ اليمن ، ص ٢٩٨ ، العقيلي ، ص ٤٤ .

بن الحارث ابن كعب المذحجيون ، واتخذوا من مدينة نجران حاضرة لهم منذ العصر الجاهلي [١] ، وذاع صيتهم في أنحاء شبه الجزيرة ، لما عرفوا به من الشجاعة ، والقوة وامتداد النفوذ ، وقد بلغ إعجاب العرب بهم حد مدحهم في أشعار شعرائهم ، فأنشد أحدهم قائلاً عنهم :

تَلُوثُ عِمَامَةً وَتَجُرُّ رُمْحَاً كَأَنَّكَ مَنْ بَنِي عَبْدِ المَدَانِ

ونهض بنو عبد المدان بنجران فعرفوا بحبهم للتشييد والبناء ، فأقاموا في نجران بناءاً عُرف باسم (كعبة نجران) [٢] ، وقد بلغ بنو الحارث حدّاً من الشهرة والاستقلالية حتى صارت كلمة بني الحارث لا تقال إلا لهم ، ولا تنصرف إلا اليهم عند الإطلاق ولا يقال لهم مذحج لشهرتهم التي فاقت القبيلة الأم [٣] .

وكان تحصن ملوك بني الحارث آل عبد المدان في قريتهم (هجر) بنجران ، والتي تتوسط ديار مذحج ، فكانت من المناعة بحيث استعصى غزوهم ، وصارت بلادهم مقصداً للشعراء والأدباء الذين مدحوهم طمعاً في أعطياتهم ومنهم أعشى قيس الذي قال فيهم :

---

(١) إن قبيلة مذحج ذات فروع متعددة وديار واسعة ، فكانت تمتد ديارهم من الجنوب الشرقي لمدينة صنعاء إلى ما جأوز تثليث شمالاً وتميل إلى جازان غرباً ، وكانت ذات بأس ومنعة ، فكانت تغير على أواسط نجد ، فخشيتها القبائل وهابتها ، وكان الشرف والمنعة والرئاسة فيها في بني الحارث بن كعب ، ثم يليها مراد ، وشوكة مراد كانت زُبيد ، ومن زُبيد عمر بن معد يكرب الزُبيدي ، صاحب الصمصامة . ومن فروع مذحج الأخرى والتي كانت موجودة في بلاد السراة أثناء ظهور الإسلام، العنسيون، وسعد العشيرة، والمراديون ، والجعفيون ، والرهاويون ، والنخعيون ، وغيرهم كثير. وكتب السير والتاريخ العامة مليئة بالتفصيلات عن هذه العشائر المذحجية وكيفية دخولها في الإسلام، وكيف برز منها رجال كثيرون شاركوا في بناء الحضارة الإسلامية داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها . لمزيد من التفصيلات انظر : إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ص ٢٦٧ وما بعدها ، المقحفي ، ص ١٧-١٨ الفقي ، ص ١١-١٨ الحديثي ، ص ٩٩-٢٠٧ ، الشجاع ، ص ٧٧ وما بعدها ، دلال ٢٠٩ وما بعدها .

(٢) للمزيد انظر ، البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ٢ ، ص ٦٠٢ ، ياقوت ، جـ ٥ ص ٢٦٨ .

(٣) للمزيد انظر ، البكري ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٢ ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ .

وَكَعْبَةُ نَجْرَانَ حَتْمٌ عَلَيْـ ... ـكَ حَتَّى تُنَاخِي بِأَبْوَابِـهَا
تَزُورُ يَزِيدَ وَعَبْدَ المَسِيحِ ... وَقَيْسَاً هُمُ خَيْرُ أَرْبَابِهَا (١)
إِذَا الحِبَرَاتُ تَلُوَّثْ بِهِـم ... وَجَرُّوا أَسَافِلَ هُدَّابِهَـا
لَهُمْ مَشْرَبَاتٌ لَهَا بَهْجَةٌ ... تَرُوقُ العُيونَ بِتَعْجَابِهَا (٢)

وقبيلة مذحج التي ينتسب اليها بنو الحارث قبيلة عظيمة شملت تحت مظلتها عشائر وقبائل أخرى عديدة ، وكانت هي المسيطرة على معظم المناطق الممتدة من شمال صنعاء إلى بلاد تثليث وجرش (منطقة عسير الحالية) وقد استمرت السيادة والرئاسة فيها على هذه النواحي منذ عهود سابقة للإسلام حتى العصور الإسلامية الوسيطة ثم تلاشت وكان آل عبد المدان بن الحارث بنجران ضمن عشائر مذحج التي لم نجد لها ذكراً بعد القرنيين الثامن والتاسع الهجريين (الرابع عشر والخامس عشر الميلادي) (٣) . والسؤال الذي يفرض نفسه هو : هل اختفت واندثرت هذه القبيلة الكبيرة ؟ والجواب : أن القبيلة العربية لا تندثر وقد لا تغادر ديارها بأجمعها ، غير أن الظروف وطول الزمن يدخل على تشكيلها القبلي تغيرات، فقد يحدث بين بطونها نزاع فتلحق كل قبيلة بقبيلة مجاورة قوية،

---

(١) هؤلاء من بني عبد المدان بن الديان من بني الحارث ، وكان يزيد هذا رأس القوم . انظر : إبن حزم ، ص ٤١٦ ، إبن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٠٦ ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ .

(٢) ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ ، كان القوم نصارى ، فاعدوا لهم غرفاً خاصة بشرب الخمر ، فلما دخل بعضهم الإسلام اذهب الله عنهم ذلك ، واندثرت كعبة نجران .

(٣) يقول إبن خلدون : " ولم يزل الملك بنجران في بني عبد المدان ، ثم في بني أبي الجواد منهم ، وكان منهم في المائة السادسة عبد القيس بن أبي الجواد ، ثم صار الأمر لهذا العهد (يقصد ابن خلدون في عصره هو خلال القرن الثامن الهجري) إلى الأعاجم شأن النواحي كلها بالشرق " تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٠٧ .

مثلما حدث مع بجيلة وعدوان [١]. وقد يتغير اسم القبيلة نتيجة عوامل لم نستطع معرفتها، مثل هوازن التي تنطوي جل فروعها اليوم تحت اسم عتيبة . وبالتالي فقبيلة مذحج انضوت فروع عديدة منها تحت اسم " قحطان " المعروفة في وقتنا الحالي ، كما بقيت لها فروع كثيرة مستقلة مثل : مراد ، وعنس ، وهي موجودة في جمهورية اليمن العربية إلى وقتنا الحاضر [٢] .

وإذا كانت بعض عشائر الأزد - كما أسلفنا - قد جاورت ثم انصهرت مع بني الحارث المذحجيين في نجران [٣]، فربما أنه حصل لهم ما حصل لقبائل مذحج التي انضوت تحت مسمى قبائل وعشائر قحطان الحالية [٤] ، لكن السؤال الذي يطرح نفسه ما الأصول التاريخية التي ترجع إليها العشائر والقبائل الساكنة لنجران في عصرنا الحالي ؟ [٥] وبخاصة أن بعضها بالتأكيد ترجع جذورها في منطقة نجران للفترة الزمنية التي يعالجها هذا الكتاب مثل : الياميون ، والصيعريون ، والنهديون وغيرهم ،

---

(١) للمزيد عن قبائل بجيلة وعدوان ، انظر ، إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ٣٤٣ ، الأشعري ، القرطبي ص ٩٦ ، إبن جريس ، دراسات ، ج ١ ، ص ٦٧ ، ٨٧ .

(٢) نجد الهمداني يشير إلى عدد من العشائر والبطون الموجودة إلى يومنا هذا ضمن قبيلة قحطان مثل : جنب ، وسنحان ، وعبيده ، وبنو بشر ، وبنو شريف ، ووادعة ، وبنو هاجر ، وغيرهم ، ومعظم هذه العشائر من بقايا قبيلة مذحج القديمة وقبيلة قحطان المعروفة اليوم تنقسم إلى قسمين قحطان الجنوب ، وقحطان نجد ، فاما قحطان الجنوب فتمتد ديارها من قرب ظهران الجنوب جنوباً ، آخذة شمالاً على راحة وسراة عبيدة مائلة غرباً على سراة جنب ، ثم شمالاً إلى قرب خميس مشيط ، وأما الثانية (قحطان نجد) فتمتد ديارها من الشمال الشرقي لخميس مشيط وتكون قاعدتها تثليث ، ثم تتوغل شمالاً إلى الحصاة وشرقها في اقليم اليمامة . لمزيد من التفصيلات انظر : الهمداني ، صفة ، ص ١٦٦ ، ١٨١ وما بعدها ، البلادي ، ص ٦٨-٧٢ . انظر أيضاً شجرة مذحج القديمة في نهاية هذا الكتاب ، ملحق رقم (١) .

(٣) انظر إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ص ٢٦٨ ، إبن حزم ، ص ٣٣١ ، المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ١ ، ص ١٧٠ ، إبن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٠٦ .

(٤) الهمداني ، صفة ١٦٦ ، ١٨١ ، البلادي ، ٦٨ - ٧٢ .

(٥) من يزور نجران اليوم يجد أن معظم سكان نجران من اليامين والصيعريين ، والنهديين وغيرهم ، بل سيجد اسماء كثيرة من العشائر ، والأفخاذ ، والبطون ، لكن لو بحثنا في كتب النسب نجد أن معظمهم لا يخرج عن نسب هذه القبائل الكبيرة الآنفة الذكر .

ولهـذا سوف نلقي الضوء عليهم في الصفحات التالية في محاولة لمعالجة الجـذور التاريخية لهم لكونهم من سكان نجران خلال القرون الإسلامية الأولـى .

فقبيلة يام تنحدر أساساً من القبيلة الكبيرة (همدان) ونسب همدان هو : همدان ابن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان [١] ، وهمدان ذات فروع كثيرة في الجاهلية وصدر الإسلام ، حتى أصبحت من أعظم قبائل شبه الجزيرة العربية بين مكة المكرمة والبحر العربي ، وكان منها الملوك والأقيال ، ثم إنها اندمجت في فرعين عظيمين من فروعها هما : حاشد بن جُشم بن حبران بن نوف بـن همدان ، وبكيل أخو حاشد ، وبالتالي صار اسم (حاشد وبكيل) يعني همدان والعكس يؤدِّي المعنى نفسه [٢] .

ومنذ صدر الإسلام أصبحت حاشد وبكيل جيشاً قويـاً ومرهـوب الجانب ، وفي أواخـر القرن الثالـث الهجـري (التاسع المـيلادي) جاء الإمام " الهادي إلى الحق" [٣] إلى صعدة فناصره من ناصره من همدان،

---

(١) انظر إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ٢ ص ٥٠٩ وما بعـدها ، إبـن حـزم ، ص ٣٩٢–٣٩٥ ، ٤٧٥–٤٧٦ ، الأشعري القرطبي ، ص ١٨٩–١٩٥ ، جواد علي جـ ٤ ، ص ١٨٦ البلادي ، ص ١٢٥ وما بعدها . وراجـع شجرة هذه القبيلة في نهاية هذا الكتاب تحت ملحق رقم (٢)

(٢) المصادر نفسها، ولمزيد من التفصيلات، انظر الأشعري القرطبي، ص ١٨٩–١٩٥ إبن حـزم، ص ٣٩٢–٣٩٥ ، ٤٧٥–٧٤٦ ، البلادي ، ص ١٢١ وما بعدها .

(٣) هو الإمام يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسني العلوي الرسي – نسبة إلى الرّس أحد جبال قرب المدينة – ولد بالمدينة سنة (٢٢٠ هـ) وكان يسكن الفرع شمال المدينة مع بعض عمومته وأقربائه . وكان فقيهاً عالماً ورعـاً عادلاً شجاعاً مغواراً، وقد ألف كثيراً من الكتب في العقيدة. دعته همدان إلى اليمن – وهمدان نصرت آل البيت من أيام الإمام علي– فتوجه إلى اليمن ونزل صعدة واتخذها قاعدة له، وعاضدته همدان وناصبته بنو الحارث بن كعـب العداء، وملك معظم اليمن، وفتح نجران، وقاتلها مراراً وخطب له في مكة سبع سنين، وضـربت الـسكة باسمـه، وخوطب بأمير المؤمنين، ولقب بالهادي إلى الحق. ظهر في عهـده أبو الفضل القرمطي الذي تغلب على كثير مـن بلاد اليمن، وتوجه إلى الكعبة ليهدمها سنة (٢٩٨هـ) فقاتله الهادي إلى الحق. وعاجلته الوفاة ودفن في جامع صعدة سنة (٢٩٨ هـ) كان ذا قوة خارقة يمسك حبة الحنطة بيده فيطحنها، وكان اسم فرسه الذي يقاتل عليه (أبـو الجماجم). انظر: شرف الدين، اليمن، ص ٢٤٥–٢٦٢ ، للمؤلف نفسه، تاريخ الفكر ، ص ١٠٥ وما بعدها .

وعارضه من عارضه ، إلا أن النتيجة كانت اعتناق همدان المذهب الزيدي [١] .

ونسب يام هو : يام بن أصبي بن دافع بن مالك بن جُشم بن حاشد [٢] ، فهي بذلك فرع من حاشد بن همدان ، وقد أولد يام بن أصبي جُشم ومذكراً ، وهما فرعا يام إلى يومنا الحاضر ، وكان من يام رجال معدودون قادة وشعراء وعلماء في الجاهلية والإسلام ، وكانت يام تدعى في الجاهلية (قتلة جبالها) وفي الإسلام (يام القرى) وذلك أنهم كانوا يقتلون الرجل الجبان منهم حتى لا يولد له فيهم فيتفشى الجبن بينهم [٣] .

ولمعرفة مواطن قبائل يام في القرون الإسلامية الأولى ، فإننا نجد الهمداني خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) يذكر يام في موضعين متباعدين أحدهما قرب مأرب [٤] والآخر في نجران وحبونة (حبونن)[٥] ، ثم يشير إلى الموطن الثاني ، وهو يصف سيل نجران : " **ويتقدم في شوكان [٦] ، من أعلى نجران ، فيسقيه وينتهي في الغائط، ثم يعترض بين نجران وتثليث أودية مثل حبونن وغيره من بلاد وادعة، وبلد يام، وزُبيد ، وبلد سنحان ، وبلد حنب** " [٧] .

---

(١) وقد أصبح معظم جيش الأئمة الزيدية في اليمن من حاشد وبكيل الهمدانية ، كما أن قبيلة همدان لها تاريخ طويل في التاريخ الإسلامي سوءاً أن كان في شبه الجزيرة العربية ، أو خارجها اثناء الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم) أو حتى في عهود خلفاء بني أمية وبني العباس .

(٢) الهمداني ، الإكليل ، جـ ١٠ ص ٦٨ – ٧٤ ، الوزير المغربي ، ص ٢٧٧ انظر أيضاً ، البلادي ، ص ١٢٥ ، philby,pp.245–7 .

(٣) انظر ، البلادي ، ص ١٢٥ .

(٤) الهمداني ، صفة ، ص ١٥١ ، البلادي ، ص ١٣٠ .

(٥) الهمداني ، صفة ، ١٦٦ ، ٢٥١ .

(٦) انظر الهمداني ، صفة ص ١٦٦ ، حاشية (٢) .

(٧) الهمداني ، صفة ، ص ١٦٦ .

وفي مكان آخر يتحدث عن وادي المنبج [١] فيقول : " **إن فروعه من بلد يام القديمة ، وبلد مرهبة ، وكلاهما من همدان** ..." ثم نجد الهمداني يذكر بوضوح وجود يام في نجران ويشير إلى أنهم لا يمثلون أغلبية عددية بين سكانها [٢] فيقول : " **ليام وطن بنجران نصف ما مع همدان منها ، ثم بلدهم يطرد عليها ناحية الحجاز إلى حدود زُبيد ونهد من ناحية حارة وما يليها ، وهي حارة ، وملاح ، وسمنان ، فإلى ما يصالي خليف دكم من أعالي حبونن ... والحظيرة ، وبدر ، وصيحان ، وقابل نجران ، وهدادة** " [٣] .

ونستخلص من النص السابق للرحالة اليمني الهمداني قِدَم ديار يام الحالية ، فكل من بدر ، وهدادة ، وسنحان روافد لوادي حبونة (حبونن) كما أننا نجد هذا الرحالة يشير في مكان آخر من كتابه إلى طريق الحج من حضرموت إلى الحجاز فيقول : " **أما محجتها (يقصد حضرموت) السفلى فمن العبر في شيئز** [٤] **، صيهد إلى نجران شبه من ثمانية أيام من نجران حبونن ، وهو واد يغيب من بلد يام من ناحية سمنان وهي كثيرة الأراطي** ..."[٥] .

وفي مكان آخر يذكر الهمداني أن ليام زرع في نجران فيقول : " **من ذلك الذرة بنجران في قابل يام من ناحية رعاش ، وراحة يكون في قصب الذرة مطوان وثلاثة وأكثر**..." [٦] .

---

(١) المنبج بفتح الميم وسكون النون وكسر الباء الموحدة آخره جيم ، اسم لموضع معروف سمي بذلك لما نبج منه الماء أي : نبع ، انظر الهمداني ، الأكليل ، جـ ٢ ، ص ٢٤٣ ، للمؤلف نفسه ، صفة ، ص ١٦٢ حاشية (٣)

(٢) لأن السيادة والأغلبية كانت آنذاك في بني الحارث بن كعب المذحجيون كما أسلفنا .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ٢٥١ .

(٤) الشيئز : هو المائل عن الجهة ، يقال هذا شيئز هذا ، أي غير مقابل له بل يميل عنه إلى جهة أخرى ويقال فلان يجزع شيئزاً ، أي منحرفاً عن الجادة ، وهي لهجة يمنية مستعملة . انظر ، الهمداني ، صفة ، ص ٣٤٢ حاشية (٢) .

(٥) الهمداني ، صفة ، ص ٣٤٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٦٠ .

ومع مرور السنين تمكنت يام من نجران حتى أصبح ملازماً لاسمها ، فلا يذكر نجران إلا وتذكر معه [١]. وبالتالي صارت ديار يام ، حتى وان امتدت شرقاً وشمالاً مسافات بعيدة ، فإن عاصمتها نجران ، التي كانت عاصمة بنو الحارث المذحجيون من قبلها ، وما عداه صحراء جرداء تتخللها بعض الواحات أو الأودية مثل حبونن ويدمة [٢] .

ويورد عاتق البلادي وصفاً مبسطاً لمواطن يام في وقتنا الحالي فيقول : " ولا تبعد ديار يام جنوب نجران ، إذ يحدها الجبل المشرف على نجران من الجنوب على شعوف جبل (رير) وعقبة نهوقة ، ولا تبعد كثيراً شمالاً إذ تقف قبل ظهران الجنوب الذي يبعد عن نجران (١٠٠) كيلاً في الشمال الغربي ، وتقف عند بدر أو وراءها بقليل ، حيث تبدأ ديار قحطان ، ولكنها تمتد شرقاً إلى ما وراء شرورى [٣]، أي ما

---

(١) البلادي ، ص ١٣٢ ، كما أن الباحث ذهب إلى نجران خلال العام الدراسي (١٤٢٣/١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢/٢٠٠٣م) وشاهد الكثير من معالم ومواطن نجران ، وسوف نواصل دراستنا (باذن الله تعالى) عن نجران لنخرج في المستقبل القريب دراسة تاريخية حضارية شاملة عن نجران في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة حتى العصر الحديث .

(٢) ويدمة : تقع إلى الشرق تماماً من خميس مشيط ، في منطقة عسير، وتبعد عنه قرابة (١٣٠-١٤٠) كيلاً بالمسافة الأفقية ، وبالتالي فأرضها وعرة المسالك ، وهي آخر ديار يام مما يلي الشمال ، بل وهي آخر حدود إمارة نجران . أشار اليها الهمداني عند حديثه عن موارد بني الحارث بن كعب في نجران فقال : " عداد مياه بالحارث مما يصلي الهجيرة حمى ماء بأطراف جبال غاذ بين مريع والغائط ، ومريع وعبالم وقد ينقطع ، وقلت يقال له يدمات ، والملحات والوزة ... " ثم واصل حديثه بعد أن ذكر موارد مياهاً كثيرة من حبونه (حبونن) ويدمة ، فقال : (و) " ... هذه اعداد شمالي بلاد بني الحارث ... " ، وهي اليوم – كما ذكرنا آنفاً – شمالي نجران بل شمالي بلاد يام ، وبنو الحارث المذحجيون انضم معظمهم إلى قبائل يام الهمدانية ، ولا يزال فخذ كبير منهم يعرف باسمه الصريح (بنو الحارث) (أو) بالحارث) . لمزيد من التفصيلات ، انظر : الهمداني ، صفة ، ص ٢٥٤ ، البلادي ، ص ٢٠٦-٢٠٧ .

(٣) شرورى : وأحياناً يطلق عليها (شرورة) أو (شرورا) ، لم نجد لها ذكر في كتب التاريخ والجغرافيا القديمة ، وخاصة عند الهمداني فلم نجده يذكرها البته ، مع أنه أشار إلى فلاه " صيهد " وهي واسعة ، تقع شرورى في أجزاء منها اليوم . وشرورى أحد محافظات نجران الرئيسة وتبعد عن مدينة نجران حوالي ((٣٦٠)) كيلاً نحو الشرق ، ويسكنها اليوم أربع قبائل عربية كبار هي : يام من الشمال والشمال الشرقي ، وآل (ابا العبيد) ومنهم الكربيون من الجنوب والجنوب الشرقي ، وعشائر الصيعريه من الجنوب الغربي ، ونهد من الغرب . ومعظم هذه العشائر وبخاصة (يام ، والصيعر ، والنهديون) كانت تعيش في بلاد نجران خلال القرون الإسلامية الأولى ، وقد أشرنا إلى بعضها مثل يام وسوف نلق الضوء في الصفحات التالية على الصيعر والنهديون . انظر الهمداني ، صفة ، ص ١٥٠ ، ١٦٦ ، ٢٢١ ، ٣٤٢ ، والبلادي ، ص ١٣٢-١٣٣

يقارب (٤٠٠) كيلاً من نجران ، ويأتي امتدادها اللامتناهي في الشمال الشرقي حيث تاخذ على جنبات الربع الخالي من الشمال وتتوغل فيه حسب الحاجة ، وتأخذ على السفوح الشرقية من جبل العرض ، ثم تأخذ في الأمتداد إلى ما وراء الخرج وربما أحاطت بالرياض من الشرق والشمال الشرقي ولكن ببعد في صحاري الدهناء وتعرف هناك ببني مرة والعجمان ، وتكاد قبيلة العجمان اليوم تعد منفصلة عن يام في نظر بعض الناس، ولكنها ترفض ذلك " [١] .

ومن يزور نجران في يومنا هذا يجد أن منطقة شرورى إحدى محافظات نجران الرئيسة ، يوجد بها بعض قبائل يام إلى جانب عشائر أخرى ليست يامية ، وإنما أصولها كِندية أو قضاعية ، مثل قبائل الصيعر ونهد [٢] .

فأما الصيعر، ومفردهم "صيعري" فقد ذكر نسبهم الهمداني بقوله : " **الصيعر ابن أشوس بن مالك بن حُريم بن مالك (الصدف)** " [٣] ومالك أو (الصدف) يعرف أيضاً في كتب النسب بـ " ثور " أو " كندة " ، قال الهمداني [٤] قال " **علماء الصعديين** " [٥]، **وأصحاب السجل القديم ابن أبان أن مرتع بن معاوية بن كِندة بن عفير أولد ثوراً وهو كِندة ومالكاً (الصدف)** " [٦] . وقال الهمداني في مكان آخر

---

(١) البلادي ، ص ١١٠-١١٢ .

(٢) لمزيد من التفصيلات عن أنساب قبائل كِندة وقضاعة ، وفروعها التي تفرعت منها امثال : الصيعريون والنهديون انظر : إبن الكلبي ، نسب معد ، ص ١٣٦ وما بعدها ، جـ ٢ ص ٥٥١ وما بعدها ، إبن حزم ، ص ٤٤٠ ، ٤٤٦ ، ٥٥١ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ الأشعري القرطبي ، ص ٢٥٨ ، ٢٧٢ ، ٣٠٥ .

(٣) انظر الهمداني ، الأكليل ، جـ ٢ ص ٢٥ وما بعدها .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤ ، ولمزيد من التفصيل عن نسب كندة انظر إبن الكلبي ، نسب معد جـ١ ص ١٣٦ وما بعدها ، الأشعري ، القرطبي ، ص ٢٧٢ .

(٥) أي : أهل صعدة .

(٦) الهمداني، الإكليل، جـ٢ ص ١٤، وكندة قبيلة من كهلان في اليمن بحضرموت، ثم نزح منهم فخذ كبير إلى الحجاز فنزلوا نخلة الشامية، حيث أحد روافد نخلة باسمهم (عمر ذي كنده) ويسمى اليوم وادي كندة، وهذا الذي ذكره عمر بن ابي ربيعة في شعر فقال:

اذا سلكت عمر ذي كندة مع الركب قصد لها الفرقد

ثم دارت حروب بين العدنانيين وفرع كندة الذي استوطن الحجاز فنزح إلى نجد وتكونت مملكة كندة هناك ، وكان من اشهر ملوكها حجر بن عمرو الملقب (بآكل المرار). لمزيد من التفصيلات عن تاريخ كندة في اليمن ، //

من كتابه صفة جزيرة العرب ، وهو يعدد فرق كندة وجيرانها فيقول : " ... **وفرقة من همدان يقال لهم المحاتل من ذي الجراب بن نشق وهم من كندة ، وفرقة من بالحارث بن كعب بريدة الصيعر ، وإليها تنسب الأبل الصيعرية والأشلة الصيعرية** " [١].

ولازال الصيعر أو (الصيعريون) يعيشون في منطقة نجران ، وبخاصة في أجزاء من محافظة شرورى إلى يومنا الحاضر ، وهم ينقسمون إلى قسمين رئيسيين هما : آل محمد بلّليث ، وعلي بلّليث ، وهذان القسمان ينقسمون إلى فخوذ وعشائر عديدة [٢] .

أما عشيرة نهد فهي من العشائر العربية التي تسكن اليوم أجزاء من منطقة شرورة يام ، والصيعر ، وعشائر أخرى من أصول عربية [٣] ، ومعظم المعلومات المتواترة في كتب التاريخ والأنساب تشير إلى أن قبيلة نهد تعود في أصولها إلى قضاعة [٤] ، التي كانت تسكن منطقة تهامة الحجاز وذلك عند القائلين بأن نسبها ينتهي إلى

// أو الحجاز ، أو نجد ، انظر : إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ١٣٦ و ما بعدها ، الأشعري القرطبي ، ص ٢٥٨-٢٧٣ .

(١) انظر الهمداني ، صفة ص ١٦٨-١٦٩ . ولتعريف بعض المصطلحات التي وردت في نصوص الهمداني ، انظر تعريفها في حواشي كتابه ، الصفة ، حيث أورد المحقق تفصيلات عنها ص ١٦٨-١٦٩ .

(٢) البلادي ، ص ١٤٦-١٤٩ .

(٣) يذكر أن قبيلة الكرب تجاور قبيلة الصيعر في منطقة شرورة ، ولم نجد في كتب الأنساب تفصيلاً عن هذه القبيلة ، لكن يذكر أنها تنسب إلى قبيلة بلعبيد أو (بني العبيد) التي سكنت حضرموت منذ عهود قديمة ، ويذكر بعض النسابه إلى أن بلعبيد هم اساساً من الصدف أو (كندة). لمزيد من التفصيلات انظر ، الهمداني ، صفة ، ص ١٦٨ ، حاشية (٧) ، للمؤلف نفسه ، الإكليل ، جـ ٢ ، ص ١٤ ، إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ١ ص ١٣٦وما بعدها، الأشعري القرطبي ، ص٢٧٢، إبن حزم، ص٤٤٦ ، البلادي ص١٥٠-١٦٠ .

(٤) وقد اختلف في نسب قضاعة فقائل يقول هي من حمير ، وآخر يقول هي من معد بن عدنان ، وقال آخرون تزوج معد أم قضاعة وهو في حجرها ، فنشأ في بيت معد فعد من ولده . قال القلقشندي في "نهاية الأرب" هم بنو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير ، وهذا هو المشهور فيهم ، وعليه سار إبن الكلبي وإبن اسحاق وغيرهما ، انظر القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص ٣٦٦ ، ولمزيد من التفصيلات انظر الأشعري القرطبي ،//

معد بن عدنان [١] ، ويذكر البكري أنها سارت " **قبائل جرم ونهد إلى بلاد اليمن: مالك ، وحزيمة ، وصباح ، وزيد ، ومعاوية ، وكعب ، وأبوسود ، وبنو نهد ، فجاوروا مذحج في منازلها من نجران وتثليث وما والاها ، فنزلوا منها أرضاً تلي السراة ، يقال لها " أُديم " وأمرهم يؤمئذ جميع ، وكلمتهم واحدة ، وغلبوا على بعض تلك البلاد ، وناكرهم طوائف من مذحج ، وطمعوا فيهم، فقال : عبدالله بن دهشم النهدي في ذلك** " [٢] .

لأُخْرِجَنّ صُريماً مِنْ مَسَاكِنهَا والمُرَّتَين وَهَمّامَ بن سَيَّارِ
لم أدْرِ ما يَمنٌ أو أرضُ ذي يَمَنٍ حَتَّى نَزَلْتُ أُديماً أفْسَحَ الدَّارِ [٣]

وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

لَقَدْ كَانَ الحَواضِرُ مَاءَ قَومِي فَأَصْبَحتِ الحَواضِرُ مَاءَ نَهْدِ [٤]

وقال هبيرة بن عمرو النهدي ، وهو يذكر قبائل مذحج وخثعم وتنمرهم لهم ، وتوعدهم إياهم .

وكِنْدَةُ تَهْذِي بالوعيد ومذحِجٌ شَهران من أهل الحجاز وَوَاهِب [٥] .

// ص ٣٣٢ ، إبن حزم ، ص ٤٤٦-٤٤٧ ، إبن الكلبي ، جـ ٢ ، ص ٥٦٥ ، ٧١٧ وقضاعه قبيلة عربية متعددة الفروع والبطون، ذهب بعض بطونها إلى كل من بلاد الشام، والبحرين، ونجد ، ومنهم من بقي في الحجاز ، وقامة واليمن ، والأجزاء الشرقية من بلاد السروات القريبة من نجران وجرش وغيرها ، للمزيد انظر ، مقدمة ، معجم ما استعجم ، للبكري ، مج ١ ، جـ ١ ص ١٧-٥٣ ، جواد علي ، جـ ٤ ، ص ٤١٩ وما بعدها .

(١) انظر ، البكري المصدر نفسه ، مج ١ ، جـ ١ ص ١٧ ، إبن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ص ٢٩٦ وما بعدها .

(٢) البكري ، معجم ما استعجم ، مج ١ ، جـ ١ ، ص ٤٠ ، إبن حزم ، ص ٢٢٩ ، ٣٠٣ ، ولمزيد من التفصيلات انظر إبن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٩ وما بعدها ، جواد علي ، جـ ٤ ص ٤٣٠-٤٣١ ، دلال ، ص ٣٤ .

(٣) وصريم ، وهمام ، والمرتان : أي مرة بن مالك بن نهد ، واخ له آخر ، كل هذه اسماء اشخاص من عشيرة نهد ، انظر البكري ، المصدر نفسه ، مج ١ جـ ١ ص ٤٠-٤١ ، دلال ، ص ٣٤-٣٥ .

(٤) البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ ١ ص ٤٠ وما بعدها .

(٥) البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ ١ ص ٤١ .

ومن النصوص والأبيات الشعرية السابقة نستخلص أن همداً قد تزايدت أعدادها هناك وقويت شوكتها حتى صارت تنازع قبائل كباراً من مذحج كزبيد وغيرها ، وكانت مذحج تغطي مساحة هائلة من جنوب شبه الجزيرة العربية ، وأصبحت قبائل همد وجرم مهابة الجانب ، لكن هذه الهيبة لم تعمر طويلاً وإنما حصل بينهم الشقاق ودارت الحروب بين بعضهم بعضاً فتفرقوا وتشتتوا [١] . فلحقت همد بن زيد ببني الحارث بن كعب في نجران فحالفوهم واختلطوا بهم ، ولحقت جرم ربان، أبناء عمومة همد، ببني زُبيد، فحالفوهم وصاروا معهم فنسبت كل قبيلة مع حلفائها يغزون معهم، ويحاربون من حاربهم، حتى تحاربت بنو الحارث وبنو زُبيد ، كلاهما من مذحج ، فالتقوا على بني الحارث عبدالله بن عبد المدان ، وعلى زُبيد عمرو بن معد يكرب الزُبيدي [٢] ويذكر أحد المؤرخين المحدثين بعض التفصيلات عن قبيلة همد عند ظهور الإسلام، فقال إنهم كانوا " **بديار بني الحارث بن كعب شرق نجران وحبونن ، ولا تبعد ديارهم اليوم - يقصد في منطقة شرورة - عن تلك الديار (في حدود ٣٠٠ كيلاً) إذا اعتبرنا الزمن وما حدث في اليمن من حروب ، خاصة تلك التي شنها الهادي على بني الحارث** [٣] **، وتفرقها وشتات أمرها فكان لا بد لقبيلة تريد التمسك ، ولا بد من إزاحتها تندفع إلى أضعف البلاد ، فكانت صيهد القفر فلاة لا منازع عليها ، ومنها يمكن التمدد حسب الظروف ، فكان تمدد همد بعد ذلك إلى أطراف حضرموت حيث المياه والظل** ..." [٤]، ويمدنا الهمداني بتفصيلات

---

(١) المصدر نفسه . ويؤكد ذلك قول الشاعر الجاهلي ، أبو ليلى النهدي ، وهو خالد بن الصقعب ، عندما قال :

أتعرِف الدارَ قَفْرا أم تُحَيِيها ... أم تسألُ الدارَ عن أخبارِ أهليها
دارٌ لنهدٍ وجَرْم إذ هُمُ خُلُطٌ ... إذ العشيرةُ لم تَشمتْ أعاديها
حتى رأيتُ سَرَاةَ الحيّ قد جَنَحَتْ ... تحت الضّبابة ترمينا ونرْميها
وأصبَحَ الودُّ والأرحام بَينهُمُ ... زُرقَ الأسنة مَجلُوزاً واحيها
إذ لا تشايعني نفسي لقتلهم ... ولا لأخْذِ نساءِ الهُوْن أسبِيها

انظر البكري ، المصدر نفسه ، مج ١ جـ ١ ص ٤١ .

(٢) لمزيد من التفصيلات انظر البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ ١ ص ٤١-٤٢ .

(٣) يقصد الإمام الهادي إلى الحق الذي استقر في صعدة في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) .

(٤) انظر البلادي ، ص ١٥٩-١٦٠.

هامة عن منازل قبيلة همدان في عصره فيقول ((**بلد بني همدان: طريب ومصابة من ذوات القصص وكتنة، وأراك ... وتثليث وكان لعمرو بن معد يكرب والقرارة ، والريان ، وجاش ، ومريع ، وعبالم ... والعشتان ، والبردان، والبردان بئر بتبالة وبالعرض من نجران ، وذات إلاه ، وهي قرية الدبيل وعُشر ، وعشر بواد من ناحية صنعاء ، وعاربان وسَقُم وقريتهم الهجيرة ، والذي يسكن هذه البلاد من قبائل همدان مُعَّرف ، وحرام ، وهي أكثر همدان ، وبنو يربوع وبنوقيس وبنو ظبيان**)) [١] .

ونلاحظ مما سبق أنه ما زال لهذه الأسماء الواردة عند الهمداني ذكر حتى اليوم في بقايا مذحج (بمنطقتي نجران وعسير المعروفة في وقتنا الحاضر) ولكن الأسماء مشتركة بين الناس ، ويستطرد الهمداني في ذكر ديار همدان فيقول في موضع آخر من كتابه : ((**ثم بلد همدان من جرش إلى كتنة الهجيرة ...**)) [٢] .

وفرع عشائر همدان الموجودة في نجران وما حولها في عصرنا الحاضر تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي : بنو كليب ، وبنو يزيد ، واليميني (تصغير يمني) في منطقة شرورة ببلاد نجران والبعض الآخر يعيش في اجزاء متفرقة من بلاد اليمن [٣] .

هذه أهم القبائل والعشائر العربية الرئيسة التي كانت تعيش في بلاد نجران خلال العصر الجاهل، وأثناء العهود الإسلامية البكرة والوسيطة، ولازال بعضهم يعيش في البلاد المعنية بالدراسة حتى يومنا الحالي (كما أسلفنا)[٤].كما أن نجران لم تخل من وجود عناصر أخرى ضمن سكانها ، وبخاصة إذا عرفنا تاريخها القديم قبل الإسلام ، حيث وصلت إليها عدد من الديانات قبل الإسلام ، مثل اليهودية ، النصرانية ، بل وصل إليها بعض العناصر اليونانية ،

---

(١) الهمداني ، صفة ص ٢٥٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥٧–٢٥٨ . والهجيرة : كانت قرية همدان الرئيسة وقاعدتهم ، وتمثل المحطة الأولى قبل تثليث مما يلي اليمن ، في شرقي جرش ، انظر ، البلادي ، ص ١٦٠ .

(٣) انظر البلادي ، ص ١٦١–١٦٢ .

(٤) يظهر أن قبائل نجران الآنفة الذكر ، والتي عاشت هناك خلال العهد الجاهلي ، وكذلك العصر الإسلامي ، لازالت هي نفس القبائل، وربما لم يختلط بها قبائل خارجية ، وذلك بسبب العزلة التي عاشتها تلك القبائل ، ثم بسبب قوقا وبطشها، باستثناء آل المكرمي الذين انتقلوا إلى نجران بزعامتهم قبل ثلاثة قرون تقريباً من تاريخنا الحالي انظر ، دلال ، ص ٢٥ .

والرومية ، والمصرية ، والحبشية ، والفارسية ، وغيرها في هيئة جيوش عسكرية كانت قد غزت شبه الجزيرة العربية بما فيها نجران [١]، وأحياناً وصلتها مثل هذه العناصر في هيئة تجار وقوافل تجارية ، لأهميتها التجارية وموقعها على طريق البخور القديم بين الشرق والغرب ، ولوجود أسواق تجارية نشطة بها ، إلى جانب ثراء أرضها الزراعية ، وما يتوفر في بلادها من موارد اقتصادية متنوعة [٢] . كل هذه العوامل جعلت مجتمع نجران لا يقتصر على القبائل العربية فقط، وإنما إلى جانب العنصر العربي كان يوجد بين السكان عناصر أخرى عديدة مثل: الفرس، والأفارقة، والأحباش، والروم، والصقالية، وغيرهم، وكان منهم من يعيش في أرض نجران على هيئة موالي لبعض العشائر والقبائل والأسر العربية ، ومنهم من كان يعيش على هيئة عبيد أرقاء يعملون في جميع أنواع المهن والحرف الموجودة في المجتمع النجراني [٣] .

وهذه العناصر وجدت في المجتمع النجراني من قبل الإسلام ، واستمرت طيلة العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وقد تمكن الإسلام بعد انتشاره في نجران من تهذيب وتنظيم المجتمع النجراني ووضع الأسس والقواعد الشرعية فأصبح لكل الفئات والطبقات الإجتماعية في نجران حقوق وعليها واجبات لا بد من الالتزام بها . فالمسلمون لهم نظام يسيرون عليه يستمد تعاليمه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كذلك أهل الكتاب أو (أهل الذمة) كان لهم أيضاً نظام حياة في المجتمع النجراني يقوم على العهود والمواثيق المكتوبة بينهم وبين المسلمين في نجران [٤] .

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن وصول بعض العناصر الأخرى ، غير العربية إلى نجران ، انظر ابن هشام جـ٢ ، ص ٢٢٢ ، جواد علي ، جـ ٢ ص ٤٣ وما بعدها ، جـ ٣ ، ٤٥٣ وما بعدها ، جـ ٦ ، ص ٦٥٩ ، الشجاع ، ص ٩٧-٩٩ ، عامر ، ص ٢٤ وما بعدها ، عابدين ، ص ٤٩ ، الفقي ، ص ٢٦ ، العقيلي ، ص ١٥-٤٤ ، شرف الدين ، اليمن ، ص ١٥٧-١٧٠ .

(٢) انظر الفصل الخامس من هذا الكتاب .

(٣) انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب .

(٤) للمزيد عن أهل الذمة في نجران انظر تفصيلات أكثر في فصول الكتاب القادمة .